وصيّتي

أيلول ١٩٣١

وصيتي

لتسلي في مأتمي
واذا مت في الغربة
لتنقل جثتي الى لبنان
وتدفن في مسقط رأسي
الفريكة

في السنة الرابعة والخمسين من عمري
(ايلول ١٩٢١ – ربيع الثاني ١٣٥٠)
طول الله اعماركم

من المألوف المعقول أن يوصي المرء لاهله او لاصحابه، رأفة بهم او عذاباً لهم، بما يتركه في هذه الفانية من مال او علق او عقار.

اما صاحب هذه الوصية فلم تكن الصكوك والسفتجات همه الاول في الحياة. فليس له اذن من مال او عقار ما يورث الحبور او العذاب لاهله او لاصحابه.

لماذا الوصية اذن؟ على رسلكم يا ايها الاحباء. اني على غير ما يُظن بي. ولست على اعجابي العظيم بأبي العلاء، مردداً قوله:

يُظن بي اليسر والديانة والعلم : وبيني وبينها حجب.

فاليسر انما هو في الديانة والعلم والحمد لله. واني اكره ان يكون بيني وبين الناس حجب بخصوصها. ان الوصية اذن، وان كانت غير مألوفة في شكلها هذا، لواجبة لازمة. هي واجبة لراحة بالي، وهي لازمة لشغل بال الاحياء بعدي.

لم تكن حياتي حياة القديسين والاولياء، والحمد لله. ولا حياة اولي الثروة او اولي السيادة، والحمد ثم الحمد لله. ولا حياة ذوي الصحة البدنية والقوة الحيوانية – ذوي الاعصاب والعضلات الحديدية، والحمد ثم الحمد ثم الحمد لله.

ما فاتني في الحياة اللامعة عرفته من خلال الحياة الدامسة. فالالم والمرض والوحشة والحاجة هي اصدق الادلاء الى الحقائق الاساسية في نواحي الحياة جمعاء. وقد واليت الدليل في الشرق وفي الغرب، وتأبطت احد كتبه – كتاب الآلام – ثلاثين سنة. وحملت في جيبي كتاب الوحشة على الدوام. وحاولت ان احرق كتاب الالم، وامزق كتاب الحاجة، فأخفقت وما استسلمت.

جزا الله الشدائد كل خير. فقد غنيت بما علمت – ونعمت بما قاسيت؛ بل
كنت

كنت في مجازفاتي الاجتماعية والمادية . وفي مغامراتي العقلية والروحية ، من اكبر الكاسبين . وقد تمت على يدي اعجوبة من اعاجيب الزمان . نعم ، قد جنيت من العوسج تينًا — منه الاثم فضيلة ، من الوحشة علماء من الحاجة ثروة ، من المرض والالام صبرًا وحكمة . فكانت ولا ازال من اصحاب الكنوز التي لا تقاس بمقاييس التجار ، ولا توزن بموازين التجارة .

وهيئت في هذه الوصية أوصي بها لاهلي واصحابي واخواني في الانسانية البيض والصفر والسود على السواء ، شرقًا وغربًا . لا تتنازعوها ، رحمكم الله . انها لتكفي الجميع .

ــــــ

١ — ان حق الشعوب في تقرير مصيرها لحق مقدس ، فاوصيكم بالجهاد في سبيله اينما كان .

٢ — ان الامة الصغيرة ، وهي على حق ، لأعظم من الامة الكبيرة ، وهي على باطل . اوصيكم بحفظ ذلك .

٣ — الامة القوية الحرة لا تستحق حريتها وقوتها ما دام في العالم أمم مستضعفة مقيدة .

٤ — لا تبلغ الانسانية اعلى درجات الرقي والعطف ما دام نصفها حرًا ، ونصفها مستعبدًا . واعلموا ان الاستعباد الاقتصادي في البلدان المستقلة الغنية هو شر من الاستعبادين السياسي والاقتصادي في البلدان التي لا تزال تحت سيطرة الاجانب . اوصيكم بمحاربة الاستعباد اينما كان وكيفما كان .

٥/ ان

٥ - إن الانتداب كما حدده "وُدرو ولسون" الاميركي الخالد، هو معقول مقبول. ولكنه عمليًا مكروه مرذول. انه اخبث من الاستعمار فاوصيكم بجهاده حتى ينتهي.

٦ - الجهاد الروحي لأشرف وأنفع من الجهاد المادي. ان المقاومة السلبية السلمية، خصوصًا عند الشعوب المستضعفة الفقيرة، هي خير من غيرها واولى. اوصيكم بان تجاهدوا الحكومات المنتدبة والحكومات الظالمة جميعًا، جهادًا روحيًا سلبيًا. شقوا عصا الطاعة، أعلنوا المقاطعة والاضراب، لا تدفعوا الضرائب والرسومات، رحبوا بالسجون وبالمشانق في سبيل الحق والحرية.

٧ - ان خير حب الوطن الحب الذي يشمل الاوطان الاخرى، فنحسن الظنة والثقة بجيراننا الاقارب والاباعد - وكلنا على هذه الكرة الارضية جيران واخوان - ونبتغي لهم ما نبتغيه لوطننا الخاص ولانفسنا.

٨ - ان الوحدة العربية المؤسسة على القومية لا على الدين هي وحدة مقدسة، فاوصيكم بها. واعلموا ان لا خلاص للأقليات من ربقة الاجانب، او في الامل من التدخل الاجنبي، الا باتحادهم والعرب، بل بامتزاجهم والاكثريات امتزاجًا عقليًا ادبيًا روحيًا، فتصبح البلاد ولا اكثريات فيها ولا اقليات. واعلموا كذلك ان لا مستقبل مجيدًا للعرب، ولا وحدة عزيزة شاملة، بغير الحكم المدني الديمقراطي القائم على العدل والمساواة بالحقوق والواجبات. واعلموا اخيرًا وتأكدوا أنَّ في الدولة العربية الكبرى ستضمحل العصبيات الدينية والطائفية كلها او ستنحصر في دوائرها الخاصة بها ولا تتعداها. وسيقوم مقامها في الوطن عصبية الجنس واللغة والثقافة،

/ وقد

وقد ارتبطت كلها بالمثل الانساني الأعلى، وبالمصلحة المشتركة المتبادلة بين الاهالي جميعًا على السواء.

٩- اوصيكم واسألكم أن توصوا غيركم بمقاومة الحروب، وبشجب اباطيل الشجاعة والتضحية من اجل الوطن. واعلموا ان البطل الحقيقي، بطل اليوم والمستقبل، هو من يجرؤ ان يقول: لا احارب ولا احمل السلاح للحرب. اجل! ان البطل الحقيقي من يجبن في سبيل الحروب!

١٠- اوصيكم بان توصوا شقيقاتكم ونساءكم وامهاتكم بالبطولة الجديدة، بطولة العقل والروح، البطولة الادبية المفعمة حبًا للانسانية. فبناء اخوانهن واولادهن على مبدأ الاخاء البشري، فيحترمون حرية الفكر والوجدان، ويأبوا ان يطيعوا اعداءهم او يرضخوا لاحكامهم. انما هم الابطال في مقاومة الحروب وفي تعزيز وتعميم السلام في العالم.

١١- اوصيكم بفك القيود وباطلاق النفس والعقل من الاقفاص الخشبية او النحاسية والذهبية. اقفاص صنعها الكهان، واقفاص صنعها الحكام، واقفاص صنع ارباب المال. كلها تقيد وتشقي وتذل. القيود، القيود! الا قيدًا واحدًا هو قيد الحب. أوصيكم به وان كان من خشب، او حديد، او رصاص، او ذهب. واعلموا ان لا قيمة للحياة ولا جمال بغير الحب ~~[illegible]~~ الاكبر - الحب ~~[illegible]~~ الذي يشمل محبة الطبيعة ~~[illegible]~~ ومحبة الانسانية ومحبة ~~[illegible]~~ الله. فان السلم الوجود درجات ثلاث هي الطبيعة والانسانية والاله الاعظم. وان ما يربطنا بالثلاث ويمكننا من تصعيدها ليثبت ويبرز الالوهية فينا.

/اني

١٢- اني مؤمن بالله، وبالعلم الكشاف لاسرار الوجود، الممهد السُبل
البشرية والكونية الى الادراك الاعلى. اني مؤمن بالسر الذي
يغدو اكتشافاً فيذلل عقبةً من عقبات الحياة، او [illegible] فيشعل
في جادانها نوراً جديدا.

١٢- اوصيكم بتعهُّد كل نور جديد. واعلموا ان قلبًا كثير الانوار خير من
عقل كثير العرفان. ان في كل دين من اديان العالم نوراً يضيءُ الى حين -
وقد يبلغ "الحين" ثلاثة او اربعة او خمسة الاف سنة - ولكنه لا ينطفيء
نور قبل ان يسطع نور آخر مكانه.

١٤- ان انوار العالم القديمة على وشك الانطفاء، كلَّها. فتيقظوا، وراقبوا
المصابيح الجديدة، وسيروا في مقدمة المستنيرين بانوارها.

١٥- لو مات بوذا على دين اجداده لكان برهميًّا. ولو مات محمد بن عبدالله
على دين آله آل قريش لظل وثنيًا. وليس الانبياء احقَّ من
غيرهم في تقرير مصيرهم الروحاني.
اني اتخيل نفسي - وقد يكون حقيقةً في ما تخيلت ساعة نُقرأ عليكم
هذه الكلمات - اني اتخيل نفسي امام صاحب السجل السماوي وهو
يسأل ويكتب. فاجيب على سؤاله الاخير: اني من قوم في جبل لبنان يعبدون
راهبًا سوريًا او سريانيًا يدعى مارون، فيهز رأسه جاهلا. لا لبنان
يعرف ولا مارونا. ثم يبتسم لمسيحيتي الشاذة، ويطاطئ رأسه
عندما انطق كلمة "التوحيد"
اني من الموحدين، وان في مرآة توحيدي لتنعكس وجوه الانبياء
والرسل اجمعين - كنفوشيوس وبوذا وازدرشت وسقراط
وموسى

وموسى ويسوع ومحمد وبهاءُ الله وباري بيكر إدي وما بينهم غيرهم كثيرون — انهم كلهم لمن ينبوع واحد، وان وجوههم كلها تتآلف وتتمازج ثم تنعكس وجهاً واحداً هو الرمز الاقدس لوجه الله.

١٦- اوصيكم اولاً بالتوحيد. فالدين نظرياً هو الصلة الحية النيّرة بين الانسان وربه الاوحد. والدين روحياً هو الاستمتاع بما يكشفه الاجتهاد، دون واسطة البتة، من مخبئات هذه الصلة الفريدة الخفية. والدين عملياً هو اولاً ادراك الحقيقة الالهية في كل من علم الناس صفحة، بل حرفاً في كتاب الحب والبر والتقوى. ثم هو الاخذ عنهم، والاقتداء بهم، فكراً وقولاً وعملاً، كلٌّ على قدر طاقته. وما كلف الله نفساً فوق طاقتها.

١٧- ان الموارنة دينياً مثل غيرهم في الشرق والغرب من عبدة القديسين والاولياء، بل من عبدة الاصنام، لفي ضلال مبين. فاسأل الله هديهم، وابرأ اليه تعالى من ضلالهم. اما الموارنة قومياً ولبنانياً فهم اخواني الاقربون — او كانوا — وقد احببتهم حبي لجبل لبنان بل حبي للقرية في لبنان، وكفى. ولكني، من اجل الشعب العامل فيهم، كنت حرباً على الرؤساء الدينيين والمدنيين الذين يأكلون خبزهم بعرق غيرهم — علقات المجتمع الانساني هم في كل مكان — ولا ازال في ما تركت من آثار ادبية واصلاحية حرباً على هؤلاء، خصوصاً في لبنان وسائر الاقطار العربية. حرباً الى ان تستقيم وتتعزز مصالح الشعب التي يعبثون بها ويسخرونها دوماً لمصالحهم.

١٨- ان في رجال الدين على الاطلاق افراداً هم حقاً ملح الارض. هم خير الناس قولاً وعملاً في كل ما ينفع الناس. ومن هؤلاء عن اولئك اكرامهم وحبهم فبادلتهم

فبادلتهم الحب والاكرام. ولكن ذلك لا ينفي ما اسلفت قوله على الاجمال، ولا يستدل منه على قبولي بما رفضت من مذهب وعقيدة. توخيت في هذا البيان صدقاً لاني حريص على الحقيقة فيه واخشى التأويل وما ينتج عنه من تمويه وتضليل. فلا تأخذ بي غيرة الاصدقاء، او الاهل او ابناء الوطن والطائفة، على ذكر مموّه بالاحترام لما طالما كرهت واستنكرت. وانه ليؤلمني جداً ان يستأثر جماعة من الناس بذكري ويستغلونه ادبياً او روحياً او سياسياً دون ما فيه لسائر الناس والوطن: اني احرج بالحقائق واجلوها دفعاً للتشويش في الاهل والنزاع. واوصيهم بان تكونوا في الاهل، مثلي صراحة وصدقاً على الدوام.

١٨- لا اظن ان المسيحيين او المسلمين او اليهود او البوذيين يسارعون ويتسابقون في الصلاة على جثماني. ولا اظنهم اذا فعلوا، ينفعونني لاني لا اعتقد بنفع الصلاة لغير صاحبها، ولا اعتقد بنفعها الا اذا كانت محض رغبة، اي محصورة في التأمل، ولا تتجاوزه الى الطلب والاستغاثة. فالتأمل الروحي هو للنفس كالنور للحياة النباتية، فتتغذى به ازهار الالوهية، ويفوح طيبها في بساتين الحياة. وكل امرئ من هذا القبيل هو كاهن او امام نفسه، يفيدها باجتهاده، ولا يفيد سواها. اما الصلاة التي هي طلبات يوجهها المرء الى خالقه فانما هي صبيانية، بل فيها شيء من الجحود. كأن الله لا يعلم بما في القلوب، كما جاء في الاديان كلها. او كأنه، سبحانه تعالى، مثل الانسان ينسى او يتناسى. فاذا كانت نفس الميت [illegible] في حاجة الى الصلوات، فقد اصبح اقرب الى العلم الالهي مما كان في الحياة، وقد اصبح ولا شغل يشغله عن الصلاة. وما اصدق المثل اللبناني القائل: كل عنزة معلقة بكرعوبها. فلا تكلفوا انفسكم اذاً ايها الآباء المحترمون وايها الاحباء. وكلمة بسيطة صريحة وجيزة لا اريد

/ ان

ان يصلي على جثماني احد من رجال الدين او غيره .

٢٠ – قد أطلت الحديث، على عهد عادتي في الحياة . ولكنه حديثي الأخير . فاحسبوا ما طال منه جزءاً من الصلاة التي تنزلت عنها، وهو، عندي بنفسي، خير منها لي، وأنفع منها لكم .

الغزيّة في ٧ ايلول ١٩٢١ و ٢٤ ربيع الثاني ١٣٤٠